

تفسير البحر المحيط

@ 303 % (وأفردت في الدنيا بفقد عشيرتي % .

وفارقني جار بأريد نافع .

%) .

أبي : وهو أريد . انتهى . وهذا تفسير معنى لا تفسير إعراب . وفي المنتخب ما ملخصه
المعنى : انتفى عنك الجنون بنعمة ربك ، أي حصول الصفة المحمودة ، وزال عنك الصفة
المذمومة بواسطة إنعام ربك . ثم قرر بهذه الدعوى ما هو كالدليل القاطع على صحتها ، لأن
نعمه كانت ظاهرة في حقه من كمال الفصاحة والعقل والسيره المرضية والبراءة من كل عيب
والاتصاف بكل مكرمة ، فحصول ذلك وظهوره جار مجرى اليقين في كونهم كاذبين في قولهم : إنه
مجنون . { وَإِنِّ لَكَ لَاجِرًا } في احتمال طعنهم وفي دعاء الخلق إلى الله ، فلا يمنعك
ما قالوا عن الدعاء إلى الله . { وَإِنِّ لَكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ } : هذا كالتفسير لما
تقدم من قوله : { بِنِعْمَةِ رَبِّكَ } ، وتعريف لمن رماه بالجنون أنه كذب وأخطأ ، وأن
من كان بتلك الأخلاق المرضية لا يضاف الجنون إليه ، ولفظه يدل على الاستعلاء والاستيلاء .
انتهى . { وَإِنِّ لَكَ لَاجِرًا } : أي على ما تحملت من أثقال النبوة ومن أذاهم مما
ينسبون إليك مما أنت لا تلتبس به من المعائب ، { غَيْرُ مَمْدُونٍ } : أي غير مقطوع ،
مننت الحبل : قطعته ، وقال الشاعر :

عبس كواسب لا يمن طعامها .

أي لا يقطع . وقال مجاهد : غير محسوب . وقال الحسن : غير مكدر باليمن . وقال الضحاك :
بغير عمل . وقيل : غير مقدر ، وهو معنى قول مجاهد . وقال الزمخشري : أو غير ممنون عليك
، لأن ثواب تستوجهه على عملك وليس بتفضل ابتداء ، وإنما تمن الفواصل لا الأجور على الأعمال
 . انتهى ، وفيه دسيعة الاعتزال . { وَإِنِّ لَكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ } ، قال ابن عباس
ومجاهد : دين عظيم ليس دين أحب إلى الله تعالى منه . وقالت عائشة : إن خلقه كان القرآن .
وقال علي : هو أدب القرآن . وقال قتادة : ما كان يأتى به من أمر الله تعالى . وقيل :
سمي عظيماً لاجتماع مكارم الأخلاق فيه ، من كرم السجية ، ونزاهة الفريضة ، والملكة
الجميلة ، وجودة الضرائب ؛ ما دعاه أحد إلا قال لبيك ، وقال : (إن الله بعثني لأتمم مكارم
الأخلاق) ، ووصى أبا ذر فقال : (وخالق الناس بخلق حسن) . وعنه صلى الله عليه وسلم : (ما
من شيء يوضع في الميزان أثقل من خلق حسن) . وقال : (أحبكم إلى الله تعالى أحسنكم

أخلاقاً) . والظاهر تعلق { بِأَيِّكُمْ الْمُفْتُونَ } بما قبله . وقال عثمان المازني :
تم الكلام في قوله { وَيُذْهِبُونَ } ، ثم استأنف قوله : { بِأَيِّكُمْ الْمُفْتُونَ } .
انتهى . فيكون قوله : { بِأَيِّكُمْ الْمُفْتُونَ } استفهاماً يراد به الترداد بين
أمرين ، ومعلوم نفي الحكم عن أحدهما ، ويعينه الوجود ، وهو المؤمن ، ليس بمفتون ولا به
فتون . وإذا كان متعلقاً بما قبله ، وهو قول الجمهور ، فقال قتادة وأبو عبيدة معمر :
الباء زائدة ، والمعنى : أيكم المفتون ؟ وزيدت الباء في المبتدأ ، كما زيدت فيه في
قوله : بحسبك درهم ، أي حسبك . وقال الحسن والضحاك والأخفش : الباء ليست بزائدة ،
والمفتون بمعنى الفتنة ، أي بأيكم هي الفتنة والفساد الذي سموه جنوناً ؟ وقال الأخفش
أيضاً : بأيكم فتن المفتون ، حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . ففي قوله الأول جعل
المفتون مصدرًا ، وهنا أبقاه اسم مفعول وتأوله على حذف مضاف . وقال مجاهد والفراء :
الباء بمعنى في ، أي في أي فريق منكم النوع المفتون ؟ انتهى . فالباء ظرفية ، نحو :
زيد بالبصرة ، أي في البصرة ، فيظهر من هذا القول أن الباء في القول قبله ليست ظرفية ،
بل هي سببية . وقال الزمخشري : المفتون : المجنون لأنه فتن ، أي محن بالجنون ، أو لأن
العرب يزعمون أنه من تخيل الجن ، وهم الفتان للفتاك منهم . انتهى . وقرأ ابن أبي عبله
: في أيكم المفتون . .

{ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ } : وعيد للضال ، وهم المجانين على الحقيقة ، حيث
كانت لهم عقول لم ينتفعوا بها ، ولا استعملوها فيما جاءت به الرسل ، أو يكون أعلم كناية
عن جزاء الفريقين . { فَلا تَطِيعِ الْمُكذِّبِينَ } : أي الذين كذبوا بما أنزل الله عليك
من الوحي ، وهذا نهى عن طواعيتهم في شيء مما دعوه إليه من تعظيم آلهتهم . { وَدَسُّوا
لَوْ تَدَّهِنُ } : لو هنا على رأي البصريين مصدرية بمعنى أن ، أي ودوا ادهانكم